Journal of Language Studies Vol.8, No.9, 2024, Pages (1-18)
DOI: https://doi.org/10.25130/Lang.8.9.1

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)
Journal of Language Studies
Contents available at: https://jls.tu.edu.iq/index.php/JLS

Exploring the Human Psyche in the Literature of Ibn al-Muqaffa': An Analytical Model Based on "Al-Adab al-Kabir" and "Al-Adab al-Saghir

Hussein Ahmed Abawi*
Department of Arabic Language/ College of Basic Education / Telafer University
Hussein.a.abawi@uotelafer.edu.iq

Received:14\8\2024, **Accepted:**1 \9\2024, **Online Published: 30 / 9/ 2024**

Abstract

This research aims to shed light on Ibn al-Muqaffa's book (d. 142 AH) "Al-Adab al-Kabir and Al-Adab al-Saghir" for several critical reasons that highlight its significance and tempt study. This work is considered one of the creative models that carry unique artistic values, demonstrating the author's ability to depict his personal inclinations and emotional turmoil in response to his surroundings, particularly concerning human behavior in society and his relationship with those in power.

To achieve this aim, we have examined the human psyche according to the language presented in these texts as expressions of the author's self and the emotions and thoughts that stimulate his creative activity. This activity manifests as a result of embodying his concerns and sufferings in a realistic translation stemming from continuous psychological moments.

The importance of this research lies in uncovering Ibn al-Muqaffa's active role in exploring the human psyche and the expressive mechanisms he employed to achieve the

* **Corresponding Author**: **Hussein Ahmed, Email:** Hussein.a.abawi@uotelafer.edu.iq
Affiliation: Telafer University - Iraq
© This is an open access article under the CC by licenses http://creativecommons.org/licenses/by/4.0

influential message of literature. This is reflected in the connection between literature—as a means of educating and refining the self—and reality

Keywords: Ibn al-Muqaffa The talk Psyche Saying Exploring the Human Psyche in the Literature of Ibn al-Muqaffa': An Analytical Model Based on "Al-Adab al-Kabir" and "Al-Adab al-Saghir

استقراء النفس الإنسانية في أدب ابن المقفع– الأدب الكبير والأدب الصغير أنموذجاً

م. د حسين أحمد عباوي

جامعة تلعفر/ كلية التربية الأساسية

الـمـسـتـخـلـص

يسعى البحث إلى تسليط الضوء على كتاب ابن المقفع (ت142هـ) (الأدب الكبير والأدب الصغير) لمبررات نقدية عدة تضيء بما يغري بدراسته وتأمل معانيه ، بوصفه أحد النماذج الإبداعية لما يحمله من قيم فنية متميزة أظهرت قدرة هذا الأديب على تصوير نوازعه الذاتية التي تجيش بها نفسه إزاء ما حوله ، لاسيما فيما يتعلق بسلوك الإنسان في مجتمعه وعلاقته مع ذوي السلطان.

ولتحقيق هذه الغاية عرضنا لنوازع النفس الإنسانية على وفق ما تقدمه لنا لغة هذه النصوص ، بوصفها تعبير عن ذات الأديب وعن الأحاسيس والأفكار التي تنتابها وتخلق نشاطها الإبداعي الذي يرد بصفته نتيجة تجسيد همومها ومعاناتها في ترجمة واقعية تصدر عنها وما تعانيه في توالد مستمر بتوالد اللحظات النفسية .

وتكمن أهمية البحث في إماطة اللثام عن الدور الفاعل لابن المقفع في استقراء النفس الإنسانية ، وما الآليات التعبيرية التي استعان بها في تحقيق رسالة الأدب المؤثرة بموجب الصلة بين الأدب – بوصفه رياضة للنفس بالتعليم والتهذيب– والواقع .

الكلمات المفتاحية : ابن المقفع ، الحديث ، النفس ، القول

المقدمة

يعدّ ابن المقفع أحد جهابذة الأدباء ، برز في مجال النثر الأدبي وأثبت نبوغه وتفوقه على الأنداد والأقران ، واستلهامه الشخصي لمجريات الحياة المتنوعة باعتماد الذوق الصافي والفطنة الدقيقة ، استجمع شخصه سمات الأديب الجاد الملم بمأثورات أدبية سخية العطاء تغلب عليها طلاوة

الأسلوب الذي ينم عن نصيب وافر من الثقافة البعيدة عن العقم والجمود وأدل على إيثار الترسل العفوي العذب بوحي السليقة المطبوعة على تجسيد مفارقات الحياة ونقائضها العجيبة .

ولما كان الأدب لسان حال الأمم ، يمثل ثقافتها ويدافع عن مبادئها ، ويصف عواطفها ، ويقوّم اعوجاجها، فإن ما يكتبه الأديب هو عنوان عقله ، ولسان فضله ، ومبلغ علمه ، ولذلك فقد أودع ابن المقفع كتابه (الأدب الكبير والأدب الصغير) زبدة فكره ، وخلاصة ذهنه ، ونتاج قريحته ، فجاء يانع الثمار ، داني القطوف ، قريب المأخذ ، سلس الأسلوب ، إذ ألبسه بلاغة القول وحلة المعاني .

ومن هنا كان لابد من تسليط الضوء في هذا البحث على هذا الكتاب لمبررات نقدية عدة تضيء بما يغري بدراسته وتأمل معانيه بوصفه أحد النماذج الابداعية لما يحمله من قيم فنية متميزة أظهرت قدرة هذا الأديب على تصوير نوازعه الذاتية التي تجيش بها نفسه إزاء ما حوله لاسيما فيما يتعلق بسلوك الإنسان في مجتمعه وعلاقته مع ذوي السلطان .

ولتحقيق هذه الغاية عرضنا لنوازع النفس الإنسانية على وفق ما تقدمه لنا لغة هذه النصوص بوصفها تعبيرا عن ذات الأديب وعن الأحاسيس والأفكار التي تنتابها وتخلق نشاطها الإبداعي الذي يرد نتيجةً في تجسيد همومها ومعاناتها في ترجمة واقعية تصدر عنها وما تعانيه في توالد مستمر بتوالد اللحظات النفسية .

وتكمن أهمية البحث في إماطة اللثام عن الدور الفاعل لابن المقفع في استقراء النفس الإنسانية ، وما الآليات التعبيرية التي استعان بها في تحقيق رسالة الأدب المؤثرة بموجب الصلة بين الأدب – بوصفه رياضة للنفس بالتعليم والتهذيب والواقع .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن ينتظم البحث بهيكل يستجيب للغاية الموضوعية التي نروم بلوغها فتألف البحث من ثلاثة محاور أعقبناها بخاتمة رصدنا فيها مجموعة استنتاجات توصلنا إليها عبر الرؤية التحليلية لتلك النصوص ، وقائمة مصادر ومراجع حوَت أسماء الكتب التي كانت خير معين في تزويد البحث بمادته اللازمة لاستكمال محاوره .

اتجه أول محاور البحث إلى تقديم عرض موجز لإضاءة تاريخية أدبية عن أهمّ ملامح حياة ابن المقفع وسيرته وأثره الأسلوبي في النثر الأدبي ، وجاء المحور الثاني في بيان الأسباب التي تقف وراء مصرع ابن المقفع ، وتمكن أهمية هذا المحور في سياق البحث في كونه يرتبط بوشائج نفسية تتعلق بأسلوب ابن المقفع مع ذوي السلطة ، أمّا المحور الثالث فقد خُصص لوقفة تحليلية لنماذج نصية مختارة من كتاب (الأدب الكبير والأدب الصغير) وقد تمحور العرض التحليلي على إبراز

القيمة الفنية للنصوص المختارة وما تزخر به من ثراء دلالي يفيض بالإمكانيات التي وفرتها اللغة العربية للأديب لينهل منها في تجربته الإبداعية.

أمّا المنهج النقدي بوصفه المدخل الفكري في المقاربة النقدية ، فقد أُقيم المعيار على أساس تقديم النص من خلال فهم معاصر يمتلك القدرة على استكناه خلفياته الفنية وإرجاعها أصولها النفسية والاجتماعية عبر معطيات اللغة في سياقاتها النصية .

وختاماً يبقى فإنَّ هذا البحث يقدم كتاب ابن المقفع إلى المتلقي وتعريفه به واطلاعه على خصائصه الإبداعية وتوجهاتها الفنية مضافاً إلى جهود من سبق من الذين عرضوا لابن المقفع لاسيما عبد القادر بن عمر البغدادي (ت1093هـ) في كتابه (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب)، وحنا الفاخوري في كتابه (الجامع في تاريخ الأدب العربي)، ومحمد كرد علي في كتابه(أمراء البيان) وغيرهم ممّن يضيق المقام في ذكرهم . وآملُ أن يكون قد أسهم هذا البحث في تأسيس معرفة متواضعة وإضافة علمية جديدة في رفد المدونة النقدية العربية ، كما لا أزعم أن النتائج التي توصل اليها البحث حاسمة ونهائية أو أنها مبرأة من المآخذ ، فهي لا تعدو عن كونها محصلة جهود ذاتية ، وليس المبرّأ من الخطأ إلا من وقى الله وعصم ، وأرجو أن يكون قد وفقني إلى قليلٍ من ذلك أو كثير ، فمنه نستمد السداد والتوفيق ، وهو وليُّ كل نعمةٍ ووراء كل قصد.

ابن المقفع – إضاءة تاريخية أدبية

كان ابن المقفع هذا(ت142هـ) فارسياً يعتنق ديانة آبائه الأولين من قبل أن يفاجئهم الفتح العربي بدعوة الإسلام ، ثم اعتنق هو الآخر دين الإسلام وتخلى عن مجوسيته ، وكان من قبل ثُقف بلغة العرب إلى جانب إحاطته الوافية بأسرار لغة قومه ومداخلها وتراثها الأدبي والفكري والفلسفي[1](الفاخوري، حنا ،1986 ،532) فإذا هو الأديب الضليع والمترجم الكفء إلى لغة الفاتحين الذين ثلوا عرش كسرى ودمروا سطوته العاتية ، ومحوا أو كادوا يمحون اسم ديانة زرادشت من على وجه الدنيا آنذاك ، ومكنوا بديلها لشرعة التوحيد أن تنبسط ظلالها وتخفق ألويتها[2] (أمين ، أحمد ،1964، 113) وإذا هو أكثر من ذلك في جلال القدر وسموق المكان ، يطرح نفسه من أفق حضارتين ؛ فارسية قديمة زائلة، وعربية إسلامية ناهضة ، فأعطى لكل منهما حقها فكان جسراً للإثراء ، وهذا ما جعله المبدع الأول للنثر المرسل في تاريخ الأدب العربي[3](علي، محمد كرد،1969، 108/1)إذ أجمع الكثيرون من الباحثين الذين أرخوا للأدب العربي أن العرب لم يكن لهم قبل عصر عبدالله بن المقفع عهد بمثل هذا النوع من النثر المرسل الذي يستوحي كاتبه سليقته[4](الفاخوري، حنا 530–532)ويستهدي بها بأسلوب رشيقٍ سهل ، فلا إقحام لهذه المفردة أو

تلك ولا تكلف لها، ولا استهداف لضروب من التنميق المبهرج المنحدر بمستوى الأسلوب على شاكلة ألفاظ السفلة ، إنما لا مناص من التأكيد على جمال اللفظ ، والتثبت من كونه ينسلك في سياق ألفاظ العربية ويمت إليها بأعلق أسباب الأصالة.

وجل ما ألفه العرب قبل هذا من أنواع النثر هو ما تأثر بأسلوب القرآن المعجز ، المثال الأعلى للفصاحة والبلاغة الذي لم يلحق به ما يشبهه ويعسر تقليده ومحاكاته أو حتى الاقتراب منه على حد ، بل قال عنه أحد المحدثين أنه ليس شعراً ولا نثراً ولكنه قرآن له مقامه الخاص الذي لا يصح أن يقاس به شيءٌ آخر[5](حسين ، طه ، 2013، 577) وكان العرب قبل ظهور القرآن قد أَلِفوا نثراً مسجوعاً تلفظه أفواه الكهان زمن الجاهلية[6](الفاخوري ، حنا ، 84) وبعد ظهوره اعتادوا سماع الأقوال التي ندت من فم نبيهم(ﷺ) أثناء اضطلاعه بأمر هدايتهم إلى دين الإسلام ، واعتادوا بعد وفاته أن يسمعوا خطب الخلفاء والولاة ، فكانت خطبهم أحفل بالعناية وأجدر بالاهتمام . لكن كل ما تولى عنه أولئك الخلفاء والولاة من ضروب النثر لم تجمع آراء كل الباحثين من بعد على اعتباره من قبيل النثر المرسل وتجوز مته إليه بأي من الأسباب والخصائص ((إنما كان أقرب إلى الخطابة أو الشعر منه إلى الأسلوب المتناسق الذي يقتضيه الاسترسال في وصف موضوع طويل متسلسل))[7](زيدان ، جرجي ،1913، 168/2)

إذن كان ابن المقفع مبتدعا لأسلوب التأليف هذا ، أسلوب الإفاضة والاستقصاء من غير إسهاب ، وهذا يستدعي بطبيعة الحال أن يعنى المؤلف باستحياء مادة موضوعه واستجماع عناصره جملة، وبالتالي التوسل بواسطة الألفاظ لتجسيدها وتدوينها ، بما يفيد المتلقي ليستقي ما يزيده فهماً ويوسعه علماً ، لا أن يستثير فيه عاطفة تغتليه حماسة ، بما ينفثه من ضروب القول ، كما يفعل الخطباء، قبل ابتداع ابن المقفع هذا وإن كان لبعض المؤلفات ثمّة أثر في إذكاء عواطف النفوس من فرحٍ وحزنٍ وحبورٍ ووجدٍ ، يجد فيها المتلقي تنفيساً لبعض كظومه ممّا يرهقه من الهموم ، وهذا لا يعني أن يبلغ به مبلغ غلواء الحماسة ، فلا يدفع به إلى غمرات المعارك ، أو يجدي في تحذيره من عدوٍ وحمله على مجانبته والتجهز للانقضاض عليه ، كما هو شأن الخطب التي لم تُصنف في عداد النثر المرسل ، قبل أن يوفق لابتداعه ابن المقفع والإدلال منه بنصيب كما ألمحنا قبل قليل.

وفضلاً عمّا تقدم ذكره فقد كانت لابن المقفع مأثورات أدبية أخرى مثل(كليلة ودمنة) و(الدرة اليتيمة) و(كتاب التاج) و(رسالة الصحابة) وغيرها وهي تدل على نباهة ذهنه واتقاد ذكائه وغزارة علمه وفرط خبرته بالنفوس وطبائعها والميول والأهواء وما يتبدى منها من أطوار السلوك ومنازع الطبع التي تعتريها وتتحكم بها وتحدد لها وجهاتها في الحياة .

ويستوقفنا هنا بصورة خاصة كتابه (الأدب الكبير والأدب الصغير) الذي يعد من أوليات المؤلفات الباحثة في هذا اللون إلهام من ألوان المعرفة البشرية وأصنافها ، الجدير بالتدبر والاعتبار بما يحويه من الحكم المستمدة من واقع عصره ، وأحسب أن ابن المقفع قد سبق به مجال الاستقراء والكشف – عن خصائص النفس وسماتها – المفكرين الغربيين ممّن توفروا على دراسة النفس الإنسانية واجتلاء أسرارها وخباياها، لكن هذا لا يعني بحال أنه سبقهم إلى معرفة ما تعارفوا على تسميته وفق الاصطلاحات النفسية التجريبية والفرضية الحديثة كالعقل الباطن الذي تكمن فيه غرائز الإنسان وأفعاله اللا إرادية التي ترجع في منطلقاتها ومصادرها إلى العاطفة المتأججة والميول الجارفة التي لا عهد لها بقيدٍ من عقل فاحص وفكر متدبر يستبقان مايتولد عن أوجه التصرف من النتائج التالية والآثار المسلفة ، وتلك حسنة يستحق صاحبها جراءها الثناء عليه بموجبها ، أو سيئة تتحيفه بالإزراء ومقت الفرقاء له ، إذا عدموا في أوجه تصرفهم مثل هذه الآثار والنتائج وخلوا منها.

إنَّ الظروف النفسية التي عاشها ابن المقفع لم تكن سوى جزءٍ من الظروف النفسية العامة التي تتحرك فيها الحياة ، فقد عاش في عصر غلبت عليه نزعة تحكم الفرد في مصائر الناس وعبثه بمقدراتهم وفق ما تمليه إرادة المُتحكم وتقتضيه مشيئته ، فشاع الخور وطغت الرهبة والشقاء النفسي[8](الخضري، محمد ، 56 – 57 – 58) وبداهة أن يستتبع ذلك الحال فقدان الطمأنينة وتفشي المُراء وأخلاق الوصول والانتهاز على حساب امتهان حرماتِ الناس وإرهاقهم بالخسف وتعريضهم للبؤس والدمار . ومن هنا ترتب على المرء أن لا يُبين عمّا في قلبه من المشاعر وضروب الإحساس ، إنما يحكي عما لا ينزل في قلبه هذا في قرار ، وكان لزاماً أن يشيع (سوء الظن) بين الناس فلا يكشف أحدهم عمّا في سريرته من خافية أو سر ، بل لا يكاد يلغي من بين أقرانه وأنداده من يستحق الركون له والتعويل عليه في تحقيق بغية والتماس قصد.

وكان ذلك الحال ممّا لفت نظر ابن المقفع واستفز شعوره واسترعى ، واستمال به بالتالي لا إلى تشخيص الأسباب التي آلت إلى هذا الحال نفسه ، وتسببت فيه والتي لا يقوى هو ولا غيره من ذوي العقول الذكية إلى التنديد بالسلطان وتقريعه ؛ بل جل ما انصب له بجماع اهتمامه وأوقف عليه جميع إمكاناته وطاقاته أن يشترع خطة عمل بمنطلق سلوك اهتمامه ، يكفي أن يقتفيها امرؤ ما ويسير بهديها ، فتغدو حياته هو الآخر أخلى من الهم وأوفى به على مجانبة الأهوال فكان(الأدب الكبير والأدب الصغير) قوام تلك الخطة المنجية ودعامة المنطلق المسلم إلى طريق الرشاد ، إذ توفر من خلاله على حشد جملة تحذيرات لمن توفي به الأيام على مصاحبة السلطان ، كأن يكون من خاصته وأصفيائه والمتعاونين وإياه في تدبير أسباب الملك والاضطلاع بأعبائه ، تحذيرات من

تملق أهوائه واسترضاء منازعه ، قدر المستطاع ، وتحذير للسلطان نفسه أن يستبد به الغضب الطيش ويستعبده الهوى ، فأما من ابتلي بمصاحبة سلطان لا يريد صلاح رعيته ، فبحسب ابن المقفع أن الظروف وحدها ستخيره بين خلتين ، ولا فضل له هو الآخر إلا فضل الكشف والإبانة ، ومفاد هاتين الخلتين ((الميل مع الوالي على الرعية ، وهذا هلاك الدين . وإما الميل مع الرعية على الوالي ،وهذا هلاك الدنيا))[9](ابن المقفع ،1999، 86)وهذا لا يطيقه ويبتغي المجازفة في التماسه إلا أصحاب الرسالات والمبادئ والأهداف ، فأما الحيلة الكفيلة بالنجاة والخلاص فلا تتعدى أحد الأمرين : الموت أو الهرب[10](ابن المقفع ، 86) فأما يتكفل الوالي قدر الإمكان على أن يمن بالتحذير ويجود بالنصح بقصد تحويل السلطان ((عما يحب ويكره إلى ما تُحب وتكره ، فإن هذه رياضة صعبة تحمل على التنائي والقلى))[11](ابن المقفع ، 87) وهذا ممّا يتصل بمهمات الأديب الاجتماعية التي تتلازم فيها الجوانب الإبداعية مع القدرة على تمحيص الواقع ومعالجته في صياغة فنية ، فالتاريخ والحضارة والمجتمع لا تعفي الأديب من مسؤولية المساهمة وتحديد المواقف من حيث هو إنسان يؤخذ بمجموعه بضمن بيئة خضع لتأثيراتها وعايش ظروفها ، مما كوّن لديه موقفاً بإزائها ، فكان مؤثراً فيها بالمقابل ، وتبادل التأثير هذا هو الأساس في تكوين علاقة النص بالمتلقي كفعل ونتيجة ، على اعتبار أن من بين العناصر الأولية في تكوين النص هي الانعكاسات التأثيرية التي تلقاها الأديب من بيئته ، فكان بنتيجة سفرها في داخله وسفره في داخلها ، أن تمخض النص عبر السفرتين ، فما دعا إلى تشكيل الموقف لدى الأديب ، هو قيامه بفرز الأحداث وملابساتها في ضوء الصراع القائم بين المضطهِدين(بكسر الهاء)، ومع من وقع عليهم الاضطهاد ، ممّا سوف يحدد مضامين نصوصه وأهدافها اتساقاً مع انجذابه نحو من سوف يكتب من أجلهم ، ومن هنا نستطيع أن نؤكد على أن الكتابة تجربة إنسانية لا تخلو من المعاناة التي تتعلق بفردية الأديب.

نفاذ البصيرة وفخ السلطة – مقارنة القول والعمل

المطلع على نصوص ابن المقفع يلحظ أنه يفضل أن يكون المرء مقتصدًا في حديثه ما أمكنه ذلك ، وسبق أنه قد دعا إلى السلامة من الهذر والسقط بالتحفظ ؛ لذلك نلحظ أن نصوصه في مجال الصداقة تؤكد حرصه على تطبيق هذا المبدأ . ولكن الغريب أن هذا الأديب العبقري الذي نال شهرة عظيمة في التأليف والذي طالما أخلص النصيحة لأولي الأمر وحذر عبر تآليفه المتعددة من الانسياق في هذر الكلام ، بل لقد أغرى بالصمت وزينه لمن يؤثر السلامة ، قد كانت نهايته مفجعة ؛ إذ وقع في فخ السياسة ، وظل على موعد والسانحات ومفاجآت الليالي ، حتى إذا تطلبه (عيسى بن علي) عمّ الخليفة المنصور – الذي كان ابن المقفع كاتباً عنده – أن يكتب وثيقة أمان إلى

الخليفة المنصور في أخيه عبد الله بعد حادثة خروجه على ابن أخيه المنصور وهروبه إلى البصرة[12](الفاخوري ، حنا ، 532) وتوسطه إلى الخليفة المنصور من بعد كي يعفو عنه ويقبل شفاعته فيه . فلم يشأ ابن المقفع وهو يكتب تلك الوثيقة أن يمسك شباة القلم عن كتابة ما يستثير غيظ الخليفة ويؤجج غضبه باسم التأكيد والمبالغة ؛ حتى لا يحنث بوعده ويجد منفذاً للإخلال ويفرّط في قبول الأمان فأضاف فأضاف في جملة فصوله ما نصه : ((وإن أنا نلتُ عبد الله بن علي أو أحداً ممّن أقدمه معه بصغير من المكروه أو كبير ، أو أوصلت لأحدٍ منهم ضرراً ، سراً وعلانية ، على الوجوه والأسباب كلها تصريحاً أو كنايةً أو بجبلةٍ من الجبل ، فأنا نفي من – محمد بن عبدالله – ومولود لغير رشدة ، ولقد حل لجميع أمة محمد خلعي وحربي والبراءة مني ، ولا بيعة لي في رقاب المسلمين ، ولا عهد ولا ذمة ، وقد وجب عليهم الخروج عن طاعتي وإعانة من ناوأني من جميع الخلق))[13](ابن خلكان ، 1977، 2/ 154)

فكانت مبالغة ابن المقفع تلك في تشدده بالأمان – ولاشك – من بنات الفكر وما يجريه على اللسان ويسطره القلم ، وكانت ثمة شروط متنوعة عسيرة ومهينة أغلظ فيها ابن المقفع العهود والمواثيق أدت إلى نقمة المنصور عليه : ((ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي ، فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده أحرار والمسلمون في حلٍ من بيعته))[14](ابن خلكان ، 2/ 154) فالملاحَظ على الكتاب أنه يحمل في طياته نذير التمرد الصريح ؛ إذ وقفت عباراته سداً منيعاً في وجه المنصور فلم يستطع أن ينال من عبد الله امتنع عن مبايعته إلا مرغماً بعد مطاردته ، وكل ذلك ما يحط من هيبة الخليفة ؛ ويدفع بالآخرين أن يحذوا حذوه.

أسرَّ المنصور ذلك في نفسه ، وتلقف تهمة كانت شائعة آنذاك ، ألصقها بعضهم بابن المقفع وهي تهمة الزندقة التي ثبتت براءته منها ، فأغرى واليه على البصرة سفيان المهلبي بقتله[15](البغدادي ، عبد القادر ،1989 ، 8/ 177)، كما لا يمكن للباحث أن يتغافل عن سبب آخر وهو ما كان من عبث ابن المقفع حيال والي البصرة في مفتتح دولة بني العباس ، سفيان المهلبي الذي أسلفت الإشارة إليه ؛ إذ كان ابن المقفع يكثر من التندر به والاستخفاف منه ، وكان لا يمتنع عن التظرف والمزاح ، وكانت منه أقوال تروى من دون أن يراعي جانباً لعز السلطان أوغرت عليه صدر الوالي وملأته بالحفيظة[16](ابن خلكان ، 2/ 155) حتى واتته الفرصة على ابن المقفع لتبرير الفعل الذي سينزله به منتهزاً فرصة فتك المنصور بالزنادقة ، ولهذا وجدنا المنصور يأمر بسجن عبد الله بن علي ، ثم يضيع دم ابن المقفع حين طلب عيسى بن علي بثأره ، ومن ثم يقتل عيسى بن علي بعد ابن المقفع في السنة نفسها (١٤٢هـ) في ظروف غامضة وهي السنة التي توفي

فيها سليمان بن علي كذلك[17](ابن خلكان، 152– 153) وفضلاً عمّا تم ذكره فهناك مسببات أخرى كانت بمنزلة المقدمات لمقتل ابن المقفع كما يذكر البغدادي وهو نبوغه وما ناله من شهرة في التأليف والترجمة أوغرت 9عليه صدور الحاسدين ومنهم أبو أيوب المورياني كاتب الخليفة المنصور[18](الصفدي ، صلاح الدين ، 2000، 341/17) فلم يقتل ابن المقفع بوصفه خصماً سياسياً ، بل حقاً كان مقتل صاحب هذه الثقافة الواسعة والفهم الغزير والعقل المكتمل ، بين فكيه ، تماماً كما الناس الأغمار من ذوي السفه والبلادة والجهل، فمقاتلهم بين فكوكهم.

سايكولوجية النص والتناسق الأسلوبي

إن المظهر الشكلي والمضموني لنصوص ابن المقفع المختارة يتجلى فيه تعانق عنصرَي الفكر والوجدان اللذين ينبعان من تكوينه النفسي الذي لا يمكن فصله عن بيئته وما زودته من ذخيرة ثقافية متنوعة أنضجت رؤيته الفنية اتجاه قضايا عصره ، رؤية لخصت الملامح الشعورية العامة في تشكيل مواقفه التي لن يعدم الباحث دلالات رابطها النفسي بين نصوصه واستكناه مفاهيم الوعي واللاوعي والإسقاط والتعويض التي بينت بدورها مدى وعي ابن المقفع بحقيقة التعبير الفني المتحكم بمضامين عملية الإبداع من حيث إنها ارتباط بين مثير واستجابة تتشكل من خلالها طاقات النص الجمالية .

ويضطلع كتاب(الأدب الكبير والأدب الصغير) لابن المقفع باستقراء النفس المنطبعة على رد ما لا يلائم مشاربها ويوافق نوازعها ، من التقديرات التي يبتدر بها آخرون فتحسبها خاطئة أو موهومة من بنات الخيال والظن عن طريق الصواب ، على الرغم من أنها قد تكون آخذة بأسباب العقل بأوثق الصلات : ((فإنك قلما تقدر على رد رجل عن طريقة هو عليها بالمكابرة والمناقضة ، وإن لم يكن ممن يجمح به عز السلطان، ولكنك تقدر على أن تعينه على أحسن رأيه ، وتسدده فيه وتزينه ، وتقويه عليه . فإذا قويت منه المحاسن كانت هي التي تكفيك المساوئ ، وإذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يبصرُهُ مواقع الخطأ بألطف من تبصيرك وأعدل من حكمك في نفسه . فإن الصواب يؤيد بعضه بعضاً ، ويدعو بعضه إلى بعض حتى تستحكم لصاحبه الأشياء ، ويظهر عليها بتحكيم الرأي ، فإذا كانت له مكانة من الأصالة اقتلع ذلك الخطأ كله ، فاحفظ هذا الباب وأحكمه))[19](ابن المقفع، 87) فعلى الرغم من أن النفس هذه المنطبعة على الرد والرفض لكل ما لا ينبع من أعماقها ، تعي أن الحق ما فاء به المحذرون ، والتقدير الصائب مالج به المشفقون وعانوا جراء كبته زمناً ماعانوا ، إذ كانوا من الاحتراس والتردد في القول بالحقيقة الصريحة ما تحملوا بسببه عسراً .

فمقولة((فإنك قلما تقدر على رد رجل عن طريقة هو عليها بالمكابرة والمناقضة)) تعبير ينطوي على حقيقة جوهرية تشكل بيت القصيد في النص ففيه ثمة عبرة لهؤلاء الذين يلجؤون إلى القسر والإرغام في التأديب والتهذيب ، أو في صرف من بلغ مبلغ الرجال وسلك في عدادهم وشاكلهم في حظه من مستوى الإدراك والاحتكام إلى العقل ، عن عادة هي والعقل على طرفي نقيض ، لا تمت له بسبب أو وشيجة ، إنما هي بنت الهوى الجامح والغرض المريب.

وقد شق هذا الأمر على ذوي العقول وأعياهم على التأثير والتكييف والارعواء بهذا أو ذاك عن غيه والميل به عن خبط وإيفائه على أعتاب الرشاد ، حتى لقد يئس البعض من صلاح النفوس ونفضوا أكفهم من إمكان التوسل بقدر أو نصيب ، وغير خافٍ ما يزدحم به مأثورنا الأدبي على تعاقب العصور والأجيال من أقوال جامعة بهذا الصدد تحكي عمّا ساور أصحابها من ضروب الألم واعتراهم من صنوف النقمة وتولاهم من أسباب الحرد .

كما يجب أن لا يغيب عن الذهن أن النفس البشرية مجبولة على الخير ، مطبوعة على الصلاح ، وليس أحب إليها من أن تتعلق بالطهر وتتحلى بالقداسة[20](سوسة ، كمال ، 1972 ، 118) لكنما هي الظروف وملابساتها التي تزري ببني الإنسان وتتحكم فيهم ، لا بل أنها تحدد منازعهم وتسد عليهم منافذ العقل ، وتحجب عن أعينهم مطالع السداد . ولم يشر ابن المقفع إلى هذه الظروف ويبين عن مسؤوليتها وتأثيرها ويحملها التبعة الثقيلة ، إمّا لأنه لم يتأت له الإمكان من ذلك ، ولم تساعفه عليه قدراته ومواهبه على دقة فطنته ، أو لأنه غفل أو تغافل عنها ، وآثر عدم الإيماء إليها خشيةً من صاحب نفوذٍ أو سلطان. ولو أخذ المربون أو المشفقون وحتى المحذرون بطريقته القويمة تلك، المعتمِدة سبيل اللطف والإيماء المؤثرة في القلب من قريب أو بعيد ، فلسوف يوفون بها على النتائج الباهرة والعواقب المنجية .

ولعل ما يدعو إلى الفخر ، أن يسوق ابن المقفع في كتابه – مطلباً – في علاج انفعالات النفس والاحتراس منها ، قد يكون سبق به علماء النفس المحدثين ؛ إذ يحذر من الانسياق في الغضب والحمية والحقد والجهل ، ويغري بنقائصها، ويجب بها إلى من تكون نفوسهم مرتعاً لهذه الضلالات، وبقصد التهوين من إحساس من ابتلي بواحدة منها أو بها جميعاً، والتخفيف من وقع شعوره بطائلتها ، وضيقه بها ، يفيد أن جماع البشر موفون على نصيب من سوء الغريزة ، ولكن العبرة بالمغالبة والمجاهدة تماماً ، وهذا ما ذهب إليه علماء النفس في العصر الحديث ، ولو حاولنا تحليل أقواله الجامعة ، والمقابلة بينها وبين أقوال هؤلاء، فلا نشارفه في حسن البيان ورشاقة العبارة وروعة الاستطراد ودقة الاستقصاء ، إذ يعلي من شأن الإرادة الإنسانية في رؤيته إلى الطبيعة الإنسانية

المنطوية على الخير والشر ، وكيفية مجاهدة دوافع الشر في تلك النفوس : ((احترس من سورة الغضب وسورة الحَمية وسورة الحقد وسورة الجهل ، وأعدد لكل شيء من ذلك عدة تجاهده بها من الحلم والتفكر والروية وذكر العاقبة وطلب الفضيلة ، واعلم أنك لا تصيب الغلبة إلا بالاجتهاد والفضل ، وأن قلة الإعداد لمدافعة الطبائع المتطلعة هو الاستسلام لها ، فأنه ليس أحدٌ من الناس إلا وفيه من كل طبيعة سوء غريزة ، وإنما التفاضل بين الناس في مغالبة طبائع السوء، فأما أن يسلم أحدٌ من أن تكون فيه تلك الغرائز فليس في ذلك مطمع . إلا الرجل القوي إذا كابرها بالقمع لها كلما تطلعت لم يلبث أن يميتها حتى كأنها ليست فيه ، وهي في ذلك كامنة كُمون النار في العود ، فإذا وجدت قادحاً من علة ، أو غفلةً استورت كما تستوري النار عند القدح ، ثم لا يبدأ ضرُها إلا بصاحبها ، كما لا تبدأ النار إلا بعودها الذي كانت فيه))[21](ابن المقفع ، 113 – 114)

فهو يعترف بأن نفس المرء تنطوي على جميع الطبائع من خيرٍ وشرٍ ، وإنما يكون التفاضل بين الناس في المجال الأخلاقي القائم على التحكم في طبائعهم ومغالبة غرائز السوء ، فينبه إلى عواقب كل ما يشين بصاحبه من الميول والأهواء الضارة ، وفي هذا نلفيه محيطاً بمدخولات النفس الإنسانية المتناقضة ، فيما تحب حتى لتحجب كل سوءات من تحب عن العيون والابصار ، بل قد تغفل وتتعامى عن قصدٍ أو بدونه عن جميع نقائصه ومعايبه ، على ما فيها من قبيح الفعل والقول ، وما تلهج إلا بمحاسنه ، بحسب ما يزينه لها الهوى المبتذل والعقل المعطل من التفكير السوي والنظر الفاحص أنه من المحاسن التي يحق بموجبها الزهو والتيه ، أو فيما تكره هذه النفس كذلك حتى لا تُبقي نظرة من عقل لها تسترشد به في الحكم المنصف ، بل قد تندفع بوحي العاطفة المهتاجة والغرض اللئيم ، فتنطق بالهنات، وتلهج بالمطاعن وتسدل حجاباً ضيقاً جوانب الحسن المتجلية في الشيء أو الانسان الذي خص بالكراهة والمقت . وشبيه بهذا النوع من الرؤية ما وصفه الشاعر :

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ولكنَّ عينَ السخطِ تُبدي المساويا[22](الشافعي ، 2004 ، 112)

وفي ذلك بلاء ومصدر تنغيص خاصة لمن أوتي احساساً مرهفاً وشعوراً رقيقاً يدفعان به إلى التماس وجه الحق لحد الولوع به فلا يعنى بما عداه . والمُلاحَظ فيما سبق أن مفردة (الاحتراس) الواردة بصيغة فعل الأمر (احترس) وردت بمعية ألفاظ تخدمها كـ(الغضب ، الحقد ، الجهل ، غفلة .....) ممّا يضفي على التجربة شمولاً واتساعاً [23] (مجلة دراسات اللغة ع4 2021، 114) حتى تحولت تلك الألفاظ في سياقها من قبيل الثروة اللغوية التي تخدم مفردة الاحتراس المقرونة بمسارها

النظمي وهي ترسم طبيعة العلاقة الحاصلة في اختيار ابن المقفع للفظة (الاحتراس) واحتكامه للرؤية النفسية والدوافع المختلفة.

وقد يورطه خلاف ذلك في خلاق التزمت والتشدد البغيضين ؛ إذ لا يعهد من نفسه سماحاً أو إيثاراً لحد القصد والاعتدال ، بل قد تجره حماسته وغلواؤه إلى الشطط والاعتساف في الحق نفسه ، في حالات قصوى ، أو يخسر حجته فيبوء منها بالخسران دون أن يحقق أملاً منشوداً، أو يوفي على قصد مرام . وهو لو آثر من جانبه منطق العقل ولم يسلم زمامه لعاطفةٍ عمياء ، أو لو أنه دل بما يستطاع ويقدر عليه الامكان مستهدفاً في ذلك مراعاة ميول من يستهدف لهم وجه الحق ، لاستتمت له المقاصد المبتغاة .

ويهيب ابن المقفع بمعرفة العذر وإيثار الوسط وترويض الذات على التخفف من فرط الغلواء والاندفاع ، والميل بها لجانب الريث والمهل والأناة ((أنه يكاد لكل رجل غالبةُ حديثٍ لايزال يحدث به إما عن بلدٍ من البلدان ، أو ضربٍ من ضروب العلم ، أو صنفٍ من صنوف الناس ، أو وجهٍ من وجوه الرأي ، وعندما يغرم به الرجل من ذلك يبدو منه السخف ويعرف منه الهوى ، فاجتنب ذلك في كل موطن ، ثم عند السلطان خاصةً))[24](ابن المقفع ، 97)

لكننا نلفي ابن المقفع يزجي نصيحة في الحرص على حفظ ما يروعك ويعجب غيرك ، حتى يكفي من يروعهم الشيء ويخلبهم مؤنة ازعاج الغير ، مادام لا يصادف منهم هوىً ، ويروق سمعاً ويؤمن منهم عليه منطق . فابن المقفع يرى أن يطوي الإنسان كشحاً عمّا يعجبه ويمله الغير ويستقبحونه عليه ويشتطون في التجني والغمز والتحامل بسببه أحياناً، فعلى المرء أن لا يسارع إلى الرد ويغرى بالرفض ، بدل أن يهيئ الأجواء الملائمة لمن يغرم لحد التعلق الشديد والهيام المعيب بضربٍ من العلم وصنف من الناس أو وجهٍ من الرأي، بل ليدعه يسترسل في حديثه البغيض ويندفع في دعواه السمجة حتى يبدو منه السخف وينكشف الهراء وينحسر الستر.

ومراعاة الجوانب النفسية تلك تجرنا إلى الحديث عن مؤشرات تستوجب الفهم والاستبصار قبل كل شيء ؛ فالإنسان الذي يتمادى بذكر الشيء الذي يعجبه ويلذه أمام من لا يجاريه فيه، فهذا من قبيل السخف الشديد. لكن أنّى لمن ركبته الأهواء واستأثرته النوازع وجمحت به ميوله ، أن يدرك هذا المنطق الحصيف ويستمسك بهذا القرار الحاسم القاطع ((اعلم أنه ستمر عليك أحاديث تعجبك : إما مليحة وإما رائعة . فإذا أعجبتك كنت خليقاً أن تحفظها ، فإن الحفظ موكل بما مَلُح وَرَاعَ، وستحرص على أن تَعجَبَ منها الأقوامُ . فإن الحرص على ذلك التعجبِ من شأن الناسِ وليس كل معجب لك معجباً لغيرك . فإذا نَشرتَ ذلك المرة والمرتين فلم تره وَقَعَ من السامعين موقعَهُ منك فازدجر عن

العودة ، فإن العُجب من غير عجيبٍ سخف شديد. وقد رأينا من الناس من يَعلق الشيءَ ولا يقلع عنه وعن الحديث به ، ولا يمنعه قلة قبولِ اصحابِهِ له من أن يعودَ إليه ثم يعود))[25](ابن المقفع ، 125 – 126) .

وفي سياق الحديث والمجالسة يشير ابن المقفع إلى أن المرء في مجالسته للناس فهو أما متحدث أو مستمع ، ولكل حالةٍ من تلك الأحوال عليه أن يكون بتسم بخلق المجلس ؛ فإن كان يستمع إلى ذوي السلطان عليه أن يكون مصغياً بانتباه مع الزام أعضاء الجسد وضعاً خاصاً : ((إذا كلمك الوالي فاصغ إلى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظرٍ إلى غيره ولا أطرافك بعملٍ ولا قلبك بحديث نفسٍ))[26](ابن المقفع ، 94) وهذا ما يؤكد معرفة ابن المقفع بنفسية ذوي السلطان فنراه يشير بضرورة تطبيق هذا المبدأ في السلوك ((واحذر هذه الخصلة من نفسك وتعاهدها بجهدك))[27](ابن المقفع ، 94) .

ولا ينسى في ذات السياق ما يتعلق بمقام مجالسة العلماء؛ إذ يوصي المرء بإظهار السلوك اللائق عند مجالستهم ، وهو شعور الحاجة إلى العلم وهذا شعور لا ينسجم وكثرة المقاطعة والتدخل في الحديث بالتعقيب ((وليعرف العلماء حين تجالسهم أنك على أن تسمع أحرص منك على أن تقول))[28] (ابن المقفع ، 103) ، ويشير إلى الأثر النفسي الناتج عن سوء خلق الجليس في مغالبة المتحدث على كلامه أو قطع حديثه ، فينهى عن مثل هذا السلوك ويعده أحد أنواع داء البخل الغامضة التي لم ينتبه الناس إليها ((ومن الأخلاق التي أنت جدير بتركها إذا حدّث الرجل حديثاً تعرفه، ألا تسابقه إليه وتفتحه عليه وتشاركه فيه ، حتى كأنك تُظهر للناس أنك تريد أن يعلموا أنك تعلم مثل الذي يعلم ، وما عليك أن تهنئه بذلك وتفرده به وهذا الباب من أبواب البخل . وأبوابه الغامضة كثيرةٌ))[29] (ابن المقفع ، 135)، ويحذر من مغبة ذلك في موضعٍ آخر ((وإذا رأيت رجلاً يحدث حديثاً قد علِمته أو يخبِرُ خبراً قد سمعته فلا تشاركه فيه ولا تتعقبه عليه ، حرصاً على يعلم الناس أنك قد علِمته ، فإن في ذلك خفةً وسُحاً وسوء أدبٍ وسخفاً))[30](ابن المقفع ، 107)، كما ويكشف ابن المقفع عن الأثر النفسي الضار عن انتحال الحديث ويصف من يفعل ذلك بسوء الخلق ((إن سمعتَ من صاحبك كلاماً أو رأيتَ منه رأياً يعجبك فلا تنتحله تزيناً به عند الناس ، واكتفْ من التزين بأن تجتني الصواب إذا سمعته ، وتنسبه إلى صاحبه ، واعلم أن انتحالك ذلك مسخطة لصاحبك ، وأن فيه مع ذلك عاراً وسخفاً))[31](ابن المقفع ، 102) ويدعو إلى السلوك المهذب في مثل هذه المواقف ((ومن تمام حُسن الخلق والأدب في هذا الباب أن تسخو نفسك لأخيك بما انتحل

من كلامك ورأيك ، وتنسب إليه رأيه وكلامه ، وتزينه مع ذلك ما استطعت))[32](ابن المقفع ، 103).

ويورد من النصوص التي تتكشف فيها التجربة النفسية بما يوحي بحبه لبني البشر ورغبته في أن نُصحهم وردهم عن مهاوي الاغترار: ((اعرف عوراتك ، وإياك أن تُعرّض بأحدٍ في ما ضارعها ، وإذا ذُكِرتْ من أحدٍ خليقة فلا تناضل عنه مناضلة المدافع عن نفسه المُصغِّر لما يعيب الناس منه فتتهم بمثلها . ولا تلح كل الإلحاح ، وليكن ما كان منك في غير اختلاطٍ ، فإن الاختلاط من محققات الريبِ))[33](ابن المقفع ، 134).

تتحدد العملية في نظر ابن المقفع في نوعية الاستجابة للمثير، كأن يأتي المرء بأفعال لا يُدرك خطورتها، كالتحذير من الدفاع عمن ذُكر بنقيصة ، وهو قبل أن يتوسل لإعطاء الحق لذاكر النقيصة ، يهيب به أن يعرف عوراته ويحذره من التعريض بأحد فيما ضارعها واستوى وإياها في الغرار وماثلها في الشاكلة ، ومن بعد يقرع سمع من يدافع عنه ويذب دونه محذراً إياه من التماس التبريرات له ، مخافة أن تحف به التهم وتلحقه الشبهات وتحوم حوله الريب فيتهم بمثل من يدافع عنه من اتسامه بنفس تلك الخليقة .

فإن كان يحق للمرء أن ينبري للدفاع عن أحد ذُكر في مجتمع ونادٍ بخليقة هي والمروءة على طرفي نقيض ، متوسلاً في ذلك باختلاق أوجه العذر والتبرير مندفعاً بوحي من حفظ الذمام ومراعاة للمودة ومؤثراً في ذلك لجانب القصد والاعتدال ، لكن عليه أن لا ينقاد إلى الشطط والغضب والإسراف في اليمين بحيث يغفل عن أن الخليقة المذمومة ، المغمز منها تشين بصاحبه ، الذي يحامي عنه ولا يقره عليها أحد إنها والمروءة على طرفي نقيض.

والمتتبع لنصوص ابن المقفع يجد أنه كان شديداً على نفسه يقضاً لكل مايكتبه من غير تناقض أو تشويه ، لاسيما فيما يتعلق بإصلاح المجتمع الذي يبدأ بالفرد ، واصلاح الفرد الذي يبدأ بالذات، ومن علائم اهتمامه أنه يشير إلى ذلك صراحة فيقول :((من نصب نفسه للناس إماماً في الدين، فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطّٰعمة والرأي واللفظ والأَخدان؛ فيكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه.... ومعلم نفسه ومؤدبُها أحق بالإجلال والتفضيل من معلِم الناس ومؤدبهم))[34](ابن المقفع ، 29)، فهو يعزم أن يأخذهم بتلك التعليمات النفسية التي تتوخى الانضباط والالتزام الذي يصلح بها أمورهم وأمور من حولهم.

ونلحظ تعلقه بالمثل العليا فهي التي تحمله على فعل الخير لأنه خير، وتجنبه الخبث لأنه خبث ، فيكون ممن كانوا يتحلون بالفضيلة في العبادة عن قناعة بالعبادة التي يمارسها الأحرار لا عبادة

العبيد . أي أن يصدر الإنسان في كل أفعاله عن فكرة نابعة من ذاته ونتيجة من نتائج فلسفته التي يحدوها عقله لا دينه – مهما كان ذلك الدين – من حيث إنّ العقل يتخذ من التجربة العملية منهجاً للوصول إلى الحقيقة ويهديه إلى أسلم الطرق في مواجهة الأشياء والتعامل مع الناس ليس طمعاً في ثواب أو خوفاً من عقاب .

وتدل كثير من عباراته إلى احتكامه إلى الرؤية النفسية الشاملة التي انماز بها أسلوبه الشفاف القائم على الاسترسال العذب البعيد عن الإغراب : ((وإني مخبرك عن صاحبٍ لي كان من أعظم الناسِ في عيني ، وكان رأس ما أعظمُهُ في عيني صغر الدنيا في عينه : كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يتشهى مالا يجد، ولا يكثر إذا وجد. وكان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يدعو إليه ريبة ، ولا يستخفُ له رأياً ولا بدناً. وكان خارجاً من سلطان لسانه ، لا يقولُ ما لا يعلم ، ولا ينازع في ما يعلم ، وكان خارجاً من سلطان الجهالة ، فلا يُقدِم ابداً إلا على ثقةٍ بمنفعةٍ . كان أكثر دهره صامتاً. فإذا نطق بذ الناطقين . كان يُرى مُتضاعفاً مُستضعفاً ، فإذا جاء الجدُّ فهو الليثُ عاديا. كان لا يدخل في دعوى، ولا يشترك في مراء، ولا يدلي بحجةٍ حتى يرى قاضياً عدلاً وشهوداً عدولاً . وكان لا يلومُ أحداً على ما قد يكون العذرُ في مثله حتى يعلم ما اعتذاره . وكان لا يشكو وجعاً إلا إلى مَن يرجو عنده البُراء . وكان لا يستشيرُ صاحباً إلا لمن يرجو عنده النصيحة. وكان لا يتبرم ، ولا يتسخط ، ولا يتشهى ، ولا يتشكى . وكان لا ينقم على الولي .ولا يغفل عن العدو ، ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته . فعليك بهذه الأخلاق إن أطقت ، ولن تطيق ، ولكن أخذ القليل خيرٌ من ترك الجميع))[35](ابن المقفع ، 136 – 137).

ويندرج في هذا السياق الكشف عن البعد النفسي المصاحب لتناقضات الحياة الاجتماعية في تجلياتها المتنوعة التي يرصدها ابن المقفع في إيماءة ذكية تشخص خللاً بنيوياً في منظومة القيم الاجتماعية يحدده من خلال بؤرة دلالية مؤسسة على ثنائية الغنى والفقر:((ليس من خلةٍ هي للغني مدح إلا وهي للفقير عيبٌ ، فإن كان شجاعاً سُمّي أهوجَ ، وإن كان جواداً سُمّي مفسداً ، وإن كان حليماً سُمّي ضعيفاً ، وإن كان وقوراً سُمّي بليداً ، وإن كان لسِناً سُمّي مهذاراً ، وإن كان صموتاً سُمّي عيياً))[36](ابن المقفع ، 62).

وبذلك يستوعب عبدالله بن المقفع ثقافة عصره فيقدم أنموذجاً فريداً في مجال السلوك الاجتماعي فيشخص أخلاق عصره والعصور الأخرى التي تسودها نفس الأوضاع الفاسدة التي كانت سائدة آنذاك ، بسبب تحكم الفرد وتعسفه بمصائر من حوله – كما أسلفنا – فكان تشخيصه يحمل صفة الامتداد والشمول عبر الزمن فلا ريب أن المجتمعات الإنسانية وإن تقدمت تقدماً ملحوظاً في نضوج

المعرفة البشرية وتطور مجالات الاختراعات حتى لقد أمكن للإنسان أن يكتشف الكواكب والنجوم ويتفنن في كل ما من شأنه الهيمنة على الطبيعة وتحسين ظروفه المادية ، إلا أنه ما يزال يضيق ذرعاً بتحكم الفرد وشيوع نظم الاستبداد التي تستتبع بقاء الفوارق والميزات بين البشر، فتسلكهم في قبيل الفقر والغنى ، فكان لزاماً أن تسف الأخلاق وتفسد الطبائع وتضيع المقاييس وتتفاوت أحكام الناس بشأن ذلك فتسمى الأشياء بنقائضها بوحي الغرض اللئيم والنظرة الضيقة ، ومن هنا كانت رؤية ابن المقفع– بفضل ما امتلكه من قدرات معرفية ومواهب بلاغية – مصيبة في تلك الإيماءات الذكية التي بلغ بها مبلغ منطق العقل في أسلم موضع وأسمى درجة .

الخاتمة

في ضوء ما تقدم انتهت حصيلة البحث إلى تدوين جملة نتائج حددتها طبيعة الموضوع نوجزها على النحو الآتي :

1. إنَّ نصوص الكتاب رائعة في مبناها عميقة في معناها تنم عن أصالة مبدعها وامتلاكه القدرة الفنية في تعامله مع الواقع وتشكيله تشكيلاً منبثقاً عن فهم وقصدية واضحة.
2. قاربت نصوص ابن المقفع في رؤيتها كثيراً من معطيات علم النفس التحليلي وعلم النفس بصفة عامة ، ما أكسب نصوصه أهميتها وثراءها الدلالي النفسي الذي شكل بحد ذاته عاملاً كافياً لتحتل تلك النصوص حيزاً مكيناً في الذاكرة الأدبية لاسيما ثنائية الظاهر والباطن التي ترسم الموقف النفسي لابن المقفع ، وهو يتفاعل مع قضايا عصره على نحو مباشر.
3. تتمثل النقطة المهمة في احتفاظ ابن المقفع بنزوع خاص في استقراء أنماط السلوك الاجتماعي القويم في ضروب التعامل مع ذوي السلطان والأصدقاء في أسلوب تغلب عليه الحكمة وتشيع فيه النصائح المرتبطة بآداب السلوك .
4. اتخذ أسلوب ابن المقفع في تقديم النصائح النفسية المستقاة من التجربة الاجتماعية على طريقة تقوم على تركيز الكلام في فقرات قصيرة ومتوسطة غالباً ما تبدأ بأمر أو نهي على شاكلة (افعل – لا تفعل) وتوظيف منطق الإقناع العقلي من خلال الاستفهام والتعجب في لغة تميزت بقدر عالٍ من التركيز على الإشارات النفسية التي يستدعيها السياق المعنوي بما يحقق مهمة جذب المتلقي إليه .

المصادر والمراجع

1. الأدب الكبير والأدب الصغير: ابن المقفع (ت 142هـ) ،تحقيق : د. إنعام فوّال ، دار الكتاب العربي ،(ط3)، بيروت ، 1999م.
2. أُمراء البيان : محمد كرد علي ، دار الأمانة ، (ط3) ، بيروت ، 1969م.
3. تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان ، مطبعة الهلال ، (د . ط) ، القاهرة ، 1913م.
4. الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم : حنا الفاخوري ، دار الجيل ، (ط1) ، بيروت ، 1986م.
5. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبدالقادر بن عمر البغدادي(ت1093هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني ، (ط2) ، القاهرة ، 1989م.
6. ديوان الامام الشافعي جمع وتعليق : مختار فوزي النعّال ، دار الرضوان،(ط1)، حلب ، 2004م.
7. فجر الإسلام: أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، (ط9)، القاهرة ، 1964م.
8. القناع والرمز في شعر يحيى السماوي ، م. د ياسمين أحمد علي ، مجلة بحوث اللغات، ع4، 2021 جامعة تكريت.
9. محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية : محمد الخضري ، المكتبة التوقيفية ،(د. ط) ، القاهرة ،(د.ت).
10. مدخل إلى علم الطباع : د. كمال سوسة ، دار المعارف ، (ط2) ، القاهرة ،1972م .
11. من حديث الشعر والنثر : د. طه حسين ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،(ط1)، القاهرة ،2013م.
12. الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي(ت764هـ) ،تحقيق : أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ، دار إحياء التراث ،(د. ط)، بيروت ، 2000م.
13. وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان : ابن خلكان(ت681هـ) ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر،(د.ط) ، بيروت ، 1977.

References:

1. Al-Adab al-Kabir and Al-Adab al-Saghir: Ibn al-Muqaffa' (.142), Edited by Dr. In'am Fuwal, Arab Book House, (3rd edition), Beirut, 1999.
2.Princes of Eloquence: Muhammad Kurd Ali, Al-Amana House, (3rd edition), Beirut, 1969.
3. History of Arabic Literature: Jurji Zaydan, Al-Hilal Press, (no edition), Cairo, 1913.
4.Comprehensive History of Arabic Literature – Ancient Literature: Hanna Fakhuri, Dar Al-Jeel, (1st edition), Beirut, 1986.
5. The Treasury of Literature and the Essence of the Arabic Language: Abd al-Qadir ibn Umar al-Baghdadi (. 1093), Edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Al-Madani Press, (2nd edition), Cairo, 1989.
6. Diwan of Imam al-Shafi'i: Compiled and commented by Mukhtar Fawzi al-Na'al, Dar al-Ridwan, (1st edition), Aleppo, 2004.
7.The Dawn of Islam: Ahmad Amin, Egyptian Renaissance Library, (9th edition), Cairo, 1964.
8.Mask and Symbol in Yahya As-Samawi's poetry 'Ins.Dr Yasameen Ahmed Ali .Jourrnal of Language Studies 4 .2021 .Tikrit University .
9. Lectures on the History of Islamic Nations: Muhammad al-Khudari, Waqf Library, (no edition), Cairo, (no date.(
10. Introduction to the Science of Typology: Dr. Kamal Susa, Dar Al-Ma'arif, (2nd edition), Cairo, 1972.
11.From the Discourse on Poetry and Prose: Dr. Taha Hussein, Hindawi Foundation for Education and Culture, (1st edition), Cairo, 2013.
12.Al-Wafi bi'l-Wafayat: Salah al-Din Khalil ibn Aybak al-Safadi (. 764), Edited by Ahmad al-Arnaout and Turki Mustafa, Dar Ihyaa al-Turath, (no edition), Beirut, 2000.
13.Deaths of Notables and Information about the Sons of the Age: Ibn Khallikan (681), Edited by Dr. Ihsan Abbas, Dar Sader, (no edition), Beirut, 1977